عقيدة أهل السُّنّة:

لم يأت نكير فقهاء عصره عليه لدعوته إلى التجديد وجمودهم على التقليد، كما توهّم الكثير ممّن خدعه زخرف القول وصرعه التهويل المتكرّر باسم السابقين الأوّلين، والسَّلَف الصالح، ودعوى الإجماع المنسوب إليهم! ثُمّ ممّن تناقل أقوالهم الجاهزة إحساناً للظنّ بهم وإعفاءً للنفس من عناء التحقيق والنظر.

ولقد رأيت فيما قرأتُ أساتذةً كباراً وقعوا في هذه الشراك!

فالحقّ أنّ عقيدته في الصفات كانت واحداً من أهمّ محاور الصراع الذي خاضه مع علماء عصره، فهي السبب الوحيد لما دار بينه وبين المالكيّة من فتن في دمشق، وهي السبب الوحيد لاستدعائه إلى مصر ثمّ سجنه هناك، كما كانت سبباً في عدّة مجالس عُقدت هنا وهناك لمناقشة أقواله.

---

(١) هو عكرمة البربري مولى ابن عبّاس، كان خارجيّاً، رحل إلى المغرب فكان أوّل من أحدث فيهم مذهب الخوارج، وحان موسم الحجّ وهو في أفريقية فكان يقول: وددتُ أنّي اليوم بالموسم بيدي حربة أضرب بها يميناً وشمالاً. وكان عبدالله بن عمر يقول لمولاه نافع: لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس. وكان سعيد بن المسيّب يقول ذلك لمولاه برد، ويسمّي عكرمة (مخبثان). تهذيب التهذيب ٧: ٢٢٧.

(٢) انظر كتابه: (الردّ على الطوائف الملحدة) في (الفتاوى الكبرى) ج٦، وغيره من كتبه في الصفات.

ولم ينفرد المالكيّة في الردّ عليه، بل كان هذا هو شأن الحنفيّة والشافعيّة أيضاً، وأمّا الحنبليّة فقد تقدّم ما بقي في إظهار شذوذه عنهم.

قال الشيخ الكوثري الحنفي في وصف عقيدة ابن تيميّة في الصفات: إنّها تجسيمٌ صريح. ثمّ نقل مثل ذلك عن ابن حجر المكّي في كتابه (شرح الشمائل)[1].

وللشافعيّة دورهم البارز في مواجهة هذه العقيدة، فقد صنّفوا في بيان أخطاء ابن تيميّة فيها كثيراً، وربّما يُعدّ من أهمّ تصانيفهم تلك ما كتبه شيخهم شهاب الدين ابن جَهْبَل، المتوفّى سنة ٧٣٣هـ. ويكتسب هذا التصنيف أهميّته لسببين:

أوّلهما: أنّ هذا الشيخ كان معاصراً لابن تيميّة، وقد كتب ردّه هذا في حياة ابن تيميّة موجّهاً إليه.

والثاني: أنّه ختمه بتحدٍّ صريح، قال فيه: «ونحن ننتظر ما يَرِدُ من تمويهه وفساده، لنبيّن مدارج زيغه وعناده، ونجاهد في الله حقّ جهاده». ثمّ لم يذكر لابن تيميّة جواباً عليه رغم أنّه قد وضعه رداً على (الحمويّة الكبرى) التي ألقاها الشيخ ابن تيميّة على المنبر في سنة ٦٩٨هـ.

ورسالة الشيخ ابن جَهْبَل هذه ذكرها السُّبكي في طبقاته كاملة[2]، سنأتي هنا بجُمَلٍ قليلةٍ منها ليظهر لك البون الشاسع بين عقيدة أهل السُنّة، وما سطّره ابن تيميّة في عقائده:

قال ابن جَهْبَل: الذي دعاني إلى تسطير هذه النُّبذة: ما وقع في هذه المدّة ممّا

---

(١) انظر: تعليقة الكوثري في ذيل (الأسماء والصفات) للبيهقي: ٣٠١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٩: ٣٥ ـ ٩١. ولوالد السُّبكي هذا ردود كثيرة وشديدة على ابن تيميّة تركناها لما رُمي به السُّبكي من عداء لابن تيميّة، رغم عدم موافقتنا لهذه التهمة، فالسبكي يمدح ابن تيميّة ويثني عليه كثيراً لأجل كتاب (منهاج السُنّة) كما سيأتي في محلّه.

علّقه بعضهم في إثبات الجهة، واغترّ بها من لم يرسخ لهُ في التعليم قدمٌ، ولم يتعلّق بأذيال المعرفة، فأحببتُ أن أذكُر عقيدةَ أهل السُنّة والجماعة، ثمّ أُبيّن فسادَ ما ذكره، مع أنّه لم يدّعِ دعوى إلّا نقضها، ولا أطّد قاعدةً إلّا هدَمَها..

قال: مذهب الحشويّة في إثبات الجهة مذهبٌ واهٍ ساقط، وهم فريقان:

فريقٌ لا يتحاشى في إظهار الحشو.

وفريق يتستّر بمذهب السَلَف ويكذب على السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، ولو أنفق مِلءَ الأرض ذهباً ما استَطاعَ أن يروّج عليهم كلمةً تُصدِّق دعواه، وتَستُّر هذا الفريق بالسَلَف حِفظاً لرئاسته والحُطام الذي يجتلبه، أو هوىً يجمع عليه الطغام الجَهَلَة والرعاع السَفِلَة..

ومذهب السَلَف إنّما هو التوحيدُ والتنزيه، دون التجسيم والتشبيه.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا يخوضون في شيء من هذه الأشياء، مع أنّ سيوف حُججهم مرهفةٌ ورماحُها مشحوذة..

ولم يُنقل عن سيّد البشر ﷺ ولا أحدٍ من أصحابه رضي الله عنهم أنّه جمع الناس في مجمعٍ عامٍ ثمّ أمرهم أن يعتقدوا في الله تعالى كذا وكذا..

وبالله أُقسِمُ يميناً برّةً، ما هي مرّة، بل ألف ألف مرّة، أنّ سيّد البشر ﷺ لم يقل: أيّها الناس اعتقدوا أنّ الله تعالى في جهة العلوّ. ولا قال ذلك الخلفاء الراشدون، ولا أحد من الصحابة، بل تركوا الناس وأمر التعبّدات والأحكام، أمّا التحريك للعقائد والتشمير لإظهارها وإقامة نائرها[1] فما فعلوا ذلك، بل حسموا البِدَعَ عند ظهورها..

---

(١) أقام نائرها: هيّجها.

وأضاف مخاطباً ابن تيميّة في عقيدته: ثمّ قلتَ: «عن السّلف في ذلك ـ أي في إثبات الجهة لله تعالى ـ من الأقوال ما لو جمعتُهُ لبلغت مائتين ألوفاً» فنقول:

إن أردت بالسّلَف سَلَف المشبّهة كما سيأتي في كلامك فربّما قاربتَ، وإن أردت سَلَف الأُمّة الصالحين فلا حرفاً ولا شطر حرف، وها نحن معك في مقام مقامٍ ومضمارٍ مضمارٍ..

وبعد متابعته كلام ابن تيميّة وردّه فقرة فقرة، قال:

ونقول له: أوّل ما بدأت به الأوزاعي وطبقته ومن بعدهم! فأين السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار ؟!.

ثمّ من أين لك صحّة هذا النقل عن الأوزاعي ؟!.

ثمّ قال: ونَقَلَ ـ أي ابن تيميّة ـ عن مالك بن أنس والثوري والليث والأوزاعي أنّهم قالوا في أحاديث الصفات: أمِرُّوها كما جاءت.

فيقال له: لِمَ لا أمسكتَ على ما أمَرَتْ به الأئمّة ؟!.

قال: وحكى عن عبدالقادر الجيلي أنّه قال: اللهُ بجهة العلوّ مستوٍ على عرشه.

فليتَ شِعري! لِمَ احتجّ بكلامه وترك مثل جعفر الصادق، والشبلي، والجُنيد، وذي النون المصري، وجعفر بن نُصير وأضرابهم، رضي الله عنهم ؟!.

ثمّ ذكر كلام جعفر الصادق ﷺ في غير موضع، قال: وذي الحَسَب الزكيّ، والنَّسَب العليّ، سيّد العلماء، ووارث خير الأنبياء، جعفر الصادق ﷺ، قال: «مَن زَعَم أنّ الله في شيءٍ، أو من شيءٍ، أو على شيءٍ فقد أشرك! إذ لو كان في شيءٍ لكان محصوراً، ولو كان على شيءٍ لكان محمولاً، ولو كان من شيءٍ لكان مُحدَثاً».

ثمّ أوجز عقيدة أهل السُنّة، فقال: وها نحن نذكر عقيدة أهل السُنّة، فنقول:

(عقيدتنا: أنّ الله قديمٌ، أزليّ، لايُشْبِهُ شيئاً، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ، ليس له جهةٌ ولا مكان، ولا يجري عليه وقتٌ ولا زمان، ولا يقال له «أينَ» و «حيثُ»، يُرَى لا عن مقابلة ولا علىٰ مُقابلة، كانَ ولا مكان، كوّن المكان، ودبّر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان).

ثمّ ختم الكلام بقوله: ونحن ننتظر ما يَرِدُ من تمويهِهِ وفساده، لنبيّن مدارج زيغه وعناده، ونجاهد في الله حقّ جهاده، والحمد لله ربّ العالمين.

أبن تيمية حياته و عقائده

http://members.xoom.com/salafi_imam

بالتعاون مع موقع الوهابية تاريخ أسود و مؤسس ضال